

فى اليوم حتى انتهت المرحلة الأولى من المشروع بعد أربع سنين
من بدئه .

أسوق هذه الملاحظات لأنبه إلى الخط الذى اتبعه الشدياق
وسار عليه فى كتابه ولثلا يكون كل ما فى بطون الكتب حقائق
مسلماً بها لا يدخلها الشك .

فإذا وضعنا ملاحظاته فى وصف مصر جانباً ، وانتقلنا معه إلى
لندن وباريس وبحشنا عن صورة هاتين المدينتين تأكد لنا طابع
كتابات ونظراته السياحية الأدبية التى أخذت من المدنية صورتها
الخارجية مع بعض الملاحظات التى تُكسبها خبرة الإنسان بأمور
الحياة اليومية . أما عقل الأمة وثقافتها وما يصح نقله إلى وطنه
للنهوض به ، فتلك أفكار لم ترد بخاطره لأنها لم تكن ضمن
مشروعه عند الكتابة . ولذلك يقف فى وصفه عند ملاحظاته
الأولى الانطباعية للحياة ومظاهرها الخارجية كما فى الأمثلة
الآتية:

١ - واعلم أن أهل باريس قد اصطلحوا على أمور فى
المعاش، والنساء تميزوا بها عمن سواهم . أما فى أمر المعاش فإن
من يأكل منهم فى المطاعم الشائعة فإنه يشارط صاحب المحل أو
بالحرى صاحبه على أن يعطيها فى الشهر قدرأ معلوماً ويأكل
عندها شيئاً معلوماً . فتعطيه تذاكر تؤذن بعدد المرات فيدفع ثمنها